مقدمـــة

Preface

يحتاج العالم بأسره إلى تنوع الكيانات العرقية- اللغوية (الأثنولغوية) انقاذاً لنفسه وتحقيقاً لإبداعات أكثر، ووصولاً لمزيد من الحلول الأنجع لمشكلات البشر، ومن أجل إعادة الوجه الإنساني للإنسانية rehumanization بشكل راسخ في وجه المادية، ومن أجل دعم أكثر للقدرات الجمالية والعقلية والعاطفية للإنسانية جمعاء، حقاً، ومن أجل الوصول إلى مستوى أفضل للأداء البشري.

جوشوا أ. فيشمان (١٩٨٢)

عندما تنقرض الأفكار، فإننا جميعاً نصبح أكثر فقراً. وفي الوقت الحاضر تتلاشى أصوات من بقي من أواخر المتحدثين بالعديد من اللغات، و لن نسمعها مرة أخرى. ويندفع اللغويون من أمثالي، وهم قليلو العدد، كي يسجلوا تلك الألسن، في حين تصارع قلة من المجتمعات الأصلية كي يعيدوا الحياة إلى تلك اللغات، وسوف يتم حفظ بعض هذه الأصوات الأخيرة في سجلات، أو في شكل مطبوعات، أو تسجيلات ذات طبيعة رقمية. وقد يرى هؤلاء المتحدثون الأواخر الذين أسهموا مع الآخرين - بكل أريحية- بما لديهم من معرفة، أن أفكارهم تعيش أطول قليلاً، بل وقد يرونها مطبوعة في كتب ككتابي هذا الذي بين أيديكم. إن معظم الأفكار لا تعيش إلا في الذاكرة، ومع انقراض اللغات تختفي تلك الأفكار وللأبد.

ولكن، لماذا نهتم بأمر كهذا ؟ أليس هذا هو المآل الطبيعي للأشياء؟ فالإمبراطوريات تجيء وتذهب، وكذلك اللغات يحدث لها مد وجزر. وهل هناك من معارف خاصة بأفراد معينين تمتاز بميزة خاصة عن غيرها؟ ألا يمكن أن يعاد بث هذه المعرفة لاحقاً ؟ فماذا نفقد، تحديداً، عندما لا تمارس اللغة، والتي هي أضخم تجمع للأفكار بل و الأكثر تعقيداً؟

إن هذا الكتاب هو محاولة مني لشرح الأسباب الكامنة التي تجعل موت اللغة أمراً ذا شأن. لقد ربطتني علاقات شخصية قوية بآخر المتحدثين بلغات عديدة و مع أطفالهم وأحفادهم، و قضيت ساعات لا تحصى في مقابلات معهم في بيئات متعددة، في المدن اللتوانية التي ترجع إلى العصور الوسطى، إلى معسكرات البدو في مغولياً، ومن القرى السيبيرية إلى البازارات الهندية. كنت أستمع بإنصات عندما كان أواخر المتحدثين يعبرون عن امتعاضهم وخزيهم من ضياع لغتهم الوشيك. جئت لأشاركهم أحزانهم وقمت بتأليف هذا الكتاب كإسهام صغير مني تجاه قضيتهم. لقد نمت لدي قناعة، أيضاً، أن الأمور يمكن أن تسير إلى الأفضل مع نظام عالمي مختلف، نظام يحترم التنوع الفكري والمحافظة على الطرق التقليدية للحياة. غالب الظن أن يمضي اختفاء اللغات في طريقه بلا توقف، بل و قد تتسارع وتيرته. فما هي نتائج ذلك علينا في القرن الحادي والعشرين وما يليه؟

إن ما نواجهه الآن من انقراض في الأفكار ليس له مثيل في التاريخ الإنساني، ونظراً لأن معظم لغات العالم لم تخضع للوصف من قبل علماء اللغة، فإننا لا نعرف ماهية الشيء الذي نحن بصدد فقدانه. يستعرض هذا الكتاب جزءًا يسيراً من المعارف الواسعة التي سوف نفقدها قريباً، وطبقات من الفكر الإنساني عن الزمن تمتد لقرون عديدة ، وعن فصول السنة، ومخلوقات البحر، وغزلان الرنّة، والزهور، والرياضيات، والبيئات الطبيعية، والأساطير، والموسيقي، واللانهائية، والدورانية، والمجهول، والحياة اليومية.

وإني لأرجو، بعرض روعة وتعقد هذه الأنظمة المعرفية وما لها من منطق خفي، أن استنفر عدداً أكبر من محبي اللغة ومتحدثيها والعلماء على السواء – للعمل بمزيد من الجد لضمان بقائها.

اللغات المنقرضة و المهددة بالانقراض المذكورة في هذا الكتاب

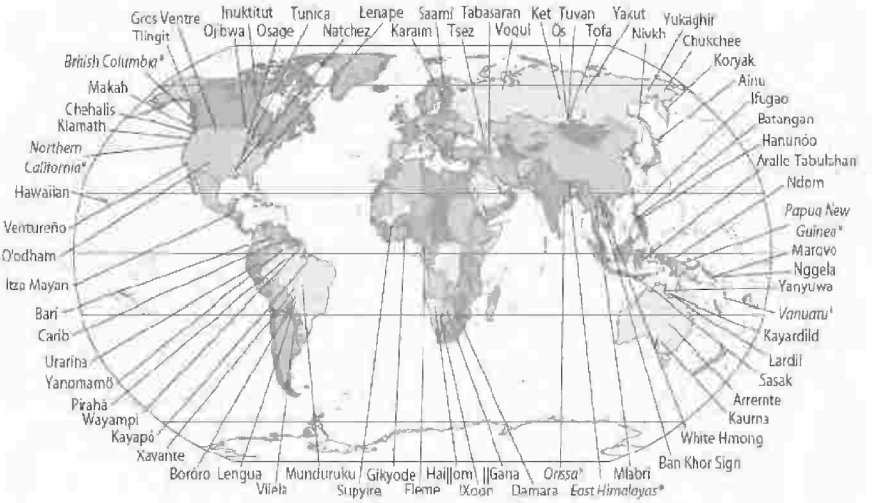

البقاع الساخنة للتنوع اللغوي

شمال كاليفورنيا: بومو، يوكي، يوروك، ويوت.

برتش كولومبيا: بلا كولا، كاريير، هالكوميليم، سكواميش.

شرق الهيمالايا: بانتوا، لبتشوا، شربا، تولونج، ياكخا.

أوربسا: هو، أيومي، ياجوويا، سورا، بارينجي، ريمو.

بابوا غينيا الجديدة: أوراكي، جا، بوكيب، هولي، كلَم، كالولي، كيوا، كوبون، لوبود، ندوم، روتوكاس، فانيمو، وامبر، يوبنو

فانواتو: أنيتيوم، لولوفولي، سيا.

تمثل اللغات في هذه الخريطة، والتي يبلغ عددها ١٠١ لغة، أقل من ١,٥٪ من مجموع لغات العالم، وأماكنها على الخريطة تقريبية.

شكر وتقدير

Acknowledgments

بما أننا نعلم جميعاً أنه يصعب على المرء أن يحقق شيئاً دون معاونة الآخرين، فإنني أتوجه بالشكر للأشخاص و المؤسسات الذين مدوا لي يد المساعدة في إنجاز هذا الكتاب الذي استغرقني سنين عدة من البحث. لقد قام روبرت إ. هارت Robert E. Hart ببحث مضن استغرق عامين وبذل فيه طاقة إبداعية أثرت أجزاء عديدة من هذا الكتاب. أتوجه بالشكر للمراجعين د. سوزان رومين Suzanne Romaine و د. ليان هينتون Leanne Hinton. لقد شجعني د. ستيفن أندرسون Stephen Anderson في بادئ الأمر على تقديم هذا العمل في المنتديات العامة، و آمنت د. دونا جو نابولي Donna Jo Napoli بهذا العمل قبل أن يرى النور و نجحت في تسويق فكرته لدى مركز جامعة أكسفورد للنشر Oxford University Press، حيث نجح المحرران بيتر أوهلن Peter Ohlin وبوب ميلكس Bob Milks في إتمام العمل على أكمل وجه. أتوجه بالشكر إلى د.برنارد كومري ، ود. فيرا زولوسي ود. دوجلاس ويلين، الذين قاموا بتقديم النصح والإرشاد لي أثناء مشروعاتي البحثية في سيبيريا.

أتوجه بالشكر إلى طلابي الموهوبين في كلية سوارثمور Swarthmore College الذين قاموا بقراءة مسودات الفصول و التعليق عليها وهم : أرييار سوندرز Arpiar Saunders ، وديفيد تشادزكي David Chudzicki ، وايريك آيزينبرج Eric Eisenberg ،

وآني فريدريكسون Annie Frederickson ، وجريجوري هولت Gregory Holt ، وريبيكا جولدمان Rebecca Goldman ، وفرانك مازوكو Frank Mazzucco ، وكاثرين ميرو Katharine Merow ، وأليسون بولتر Alison Balter، وجون ايدواردز Jon Edwards ، وريو أكاساكا Rio Akasaka ، و اليزابيث كرو Elizabeth Crow ، و نيكول بويل Nicole Boyle، و سارة مانيون Sarah Manion، و صوفيا بينيدو- بادوك Sofia Pinedo-Padoch، و تيانا باير- بيريرا Tiana Pyer-Pereira، و ريتشيل شوري Rachel Shorey. أتوجه بالشكر كذلك لزميلاي في كلية سوارثمور ، د.تيودر فيرنالد Theodore Fernald ود. ايريك ريمي Eric Raimy اللذين ساعدا في تهيئة بيئة بحثية مثالية ، ود. رون كيم Ron Kim الذي قام بقراءة إحدى المسودات الأولى من الكتاب. أشكر د. لينور جرينوبل Lenore Grenoble من دارتموث Dartmouth ، والتي قدمت لي النصائح القيمة. ومن جامعة ييل أتوجه بعميق الشكر للدكتور أبيجيل كاون Abigail Kaun ود.جوزيف ايرينجتون Joseph Errington واللذان نجحا في الإعدادي للعمل الميداني. ولا يسعني إلا أن أشكر صديقيَّ مارك فان تونجرين Mark van Tongeren و داريو لوبيز Dario Lopez و اللذان علماني فن الموسيقى الذي كنت بحاجة إليه. أشكر خيم تانج Khiem Tang على تشجيعه لي و على حسه العالي في التصميم.

أتوجه بالشكر لزملائي الرحالة الذين قدموا لي بواعث الإلهام وعملوا معي أثناء رحلاتي الميدانية وهم: د. جريجوري اندرسون Gregory Anderson ، ود. هارولد س. كونكلن Harold C. Conklin ، و د. برايان دوناهو Brian Donahoe ، و د. جويل جوردون Joel Gordon، ود. سفين جراوندر Sven Grawunder، ود. تيودور ليفين Theodore Levin ، ود. أفانسيج ميلديك Afanasij Myldyk ، ود. مانيديبا باتنايك Manideepa Patnaik ، وكيلي ريتشاردسون Kelly Richardson ، وكاثرين فنسنت Katherine Vincent ، ود. أليكسندر ويليامز Alexander Williams. أشكر من علمني أن

أتحدث التوفانية وهم أصدقائي التوفانيين : تشيتشين كولار Chechen Kuular، وكاندان ميلديك Kandan Myldyk، وخايمر–أول كولار Kheimer-ool Kuular ود.فالانتينا سوزوكي Valentina Süzükei. أتوجه بالامتنان لدانيل ميلر Daniel Miller وسيث كرامر Seth Kramer من شركة آيرنباوند فيلمز Ironbound Films اللذين تمكنا من جعل مستنقعات سيبيريا التي تعج بالبعوض Siberia's mosquito-ridden bogs مكاناً لتصوير الفيلم التسجيلي "آخر المتحدثين" The Last Speakers. شكراً لكريس رينيير Chris Rainier من مؤسسة ناشونال جيوجرافيك National Geographic و الذي ساعد في تقديم بحثي هذا عن اللغات المعرضة لخطر الانقراض إلى أعداد أكبر من الجمهور.

لقد تعددت المصادر الكريمة المموِّلة لهذا العمل والتي تشمل مؤسسة وينر جرين للبحث الأنثربولوجي Wenner-Gren Foundation for Anthropological Research ، ومؤسسة أيريكس IREX ، و مؤسسة فولكسفاجن شتيفتونج VolkswagenStiftung ، مشروع هانز راوزنج للغات المهددة بخطر الانقراض Hans Rausing Endangered Languages Project ، وكلية سوارثمور ، مؤسسة العلوم الوطنية the National Science Foundation، ومؤسسة ميلون The Mellon Foundation ، والجمعية الوطنية الجغرافية National Geographic Society ، ومعهد الألسنة الحية للغات المهددة بخطر الانقراض Living Tongues Instiute for Endangered Languages. أما المنح فقد أشرف على تقديمها كلية سوارثمور ، وصندوق اللغات المعرضة للخطر في جامعة ييل Endangered Language Fund at Yale University ، و معهد أبحاث العلوم المعرفية التابع لجامعة بنسلفانيا Institute for Research in Cognitive Science at the University of Pennsylvania، و معهد ماكس بلانك للأنثربولوجيا التطورية في لايبتسيج بألمانيا Max Planck Institute for Evolutionary Anthropology in Leipzig, Germany.

و في النهاية، أتوجه بالشكر لكثير من الأشخاص الذين نعدهم من أواخر المتحدثين بلغاتهم و الذين ألهموني تأليف هذا الكتاب بإسهامهم الكريم في المشاركة بحكمتهم ورواياتهم و رؤيتهم للعالم. ومن بين هؤلاء (في سيبيريا)، جالينا و فارفارا آداموفا Galina and Varvara Adamova ، وسيرجي و دميتري أموستايف Sergei and Dmitry Amostayev ، و سفيتلانا أراكاييفا Svetlana Araktayeva، و أنا بايداشيفا Anna Baydasheva، و فاسيليج جابوف Vasilij Gabov، و مارتا كونجاريفا Marta Kongarayeva، و سبارتاك و سيرجي كونجاريف Spartak and Sergei Kongarayev وكونستانتين مو خاييف Konstantin Mukhayev، و ايفان سكوبلن Ivan Skoblin وبيوتر أونجاشتاييف Piotr Ungushtayev ؛ ومن منغوليا : ديمدينسوروج Demdinsürüng ، و كوك- أول kok-ool، و نياما Nyaama ، و نيرجو Nergu ، وتسيرينيدميت Tserenedmit ؛ و من ليتوانيا، ميكولاس فيركوفييوس Mykolas Firkoviius ؛ و من الهند ك.س. نايك بيرولي K. C. Naik Biruli، و سوركا ماجهي Sukra Majhi. أتوجه بعميق الشكر لأشخاص آخرين- في روسيا و توفا و الفلبين ومنغوليا و الهند و أماكن أخرى- علموني كثيراً حول الموضوعات التي يناقشها الكتاب.